# محاضرات / منهج البحث التاريخي

**جامعة البصرة**
**كلية الاداب/ قسم التاريخ**
**المرحلة / الاولى**

**تعريف التاريخ:**

التعريف اللغوي للتاريخ هو تحديد الزمن وبيان الوقت فلقد ورد في لسان العرب لابن منظور أن التاريخ كلمة مشتقة من الفعل أرخ يؤرخ تأريخاً و تأريخاً بمعنى تعريف الوقت والتوريخ مثله وأرخ الكتاب أو ورخه بمعنى وقته وفي المعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وآخرين أرخ الكتاب :فصل تاريخه وحدد وقته وهو جملة الأحوال و الأحداث التي يمر بها كائن ما ويصدق على الفرد و المجتمع كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية فالتأريخ هو تسجيل هذه الأحوال و التاريخ جملة الأحوال .

وهي كلمة مشتقة من مادة"أرخ يؤرخ"التي تعني الشهر في اللغات السامية القديمة وقد حاول بعض القدماء أن يرجع اشتقاق هذه الكلمة إلى اللغة الفارسية فزعم أنها مأخوذة من "ماه رزو"والتي يراد بها تعيين بدء الشهر فعربوها وقالوا"مؤرخ"وجعلوا المصدر منها التأريخ وهذا اشتقاق بعيد لا يظهر فيه أي تقارب بين اللفظين العربي والفارسي وقد أشار بعضهم إلى احتمال صلة هذه الكلمات باللغات العربية القديمة(السامية)حيث توجد القرابة بينها وبين كلمة "ياريح"التي معناها القمر ويرح التي معناها الشهر في العبرية ولكن الأرجح أن جذرها ورخ وهو جذر عربي قديم أيضا لكنه مأخوذ من لغة اليمن الجنوبية وليس من العبرية والملاحظ أن العرب القدماء كانوا يحددون شهورهم بالقمر لا بالشمس وأنهم كانوا يبنون تاريخهم على الليالي دون الأيام كما هو متبع في التقويم الهجري لهذا فأن معنى كلمة تاريخ كان في مبدءا مرها هو تحديد الشهر ثم اتسع فصار التوقيت العام أي تحديد زمن حدث من الحوادث ثم تطور مفهوم هذه الكلمة حتى شمل رواية الحدث نفسه من جهة وتحديده من جهة أخرى علما بأنه كانت تستخدم بمعنى التقويم في النقوش العربية الجنوبية ولم يستخدم لأول مرة ألا منذ أن ادخل عمر بن الخطاب التقويم الهجري كما ورد هذا الاصطلاح في أحدى أوراق البردي التي يرجع تاريخها إلى سنة (٢٢هـ ) مما يدل على أن الكلمة كانت معروفة في ذلك الحين .

ويعتقد الباحثون الغربيون أن أول من أطلق تسمية التاريخ "HISTORY"هو المؤرخ اليوناني هيرودوتس (القرن الخامس ق . م )وتلفظ باللغة اليونانية "HISTORYA" والقصد منها التحري والبحث في أحداث الماضي و تسجيلها .ويعتبر هيرودوتس والد التاريخ أو (أبو التاريخ )خاصة انه كان أول من أهمل تدوين الروايات الوهمية المرتبطة بالآلهة و الأبطال وانصرف إلى البحث وتسجيل وقائع الزمن الذي عاش فيه ويعود الفضل إلى هيرودوتس بإضفاء لفظة (تاريخ) بمعنى ( استقصاء ) على علم التاريخ .ووضعت جملة تعاريف للتاريخ وأهمها التعريف الذي ظل سائدا إلى أواخر القرن الثامن عشر ويعني أن التاريخ سجل الأحداث الماضية .فيعتبر بعض الكتاب أن التاريخ يشتمل على المعلومات التي يمكن معرفتها عن نشأة الكون كله بما يحويه من أجرام وكواكب ومن بينها الأرض وما جرى على سطحها من حوادث الإنسان .

التاريخ هو دراسة الحوادث أو هو الحوادث نفسها ،و الحوادث جمع حادث والحادث هو كل ما يطرأ من تغيير على حياة البشر وكل ما يطرأ من تغيير على الأرض متصلا بحياة البشر وإذا كان التاريخ في حقيقته هو الحوادث وكانت الحوادث هي التغييرات والتغييرات وليدة الزمان انتهينا إلى أن التاريخ هو الزمان .

والتاريخ هو وعاء الخبرة البشرية هو العلم الخاص بالجهود البشرية أو هو المحاولة التي تستهدف الإجابة على الأسئلة التي تتعلق بجهود البشرية في الماضي و تستشف منه جهود المستقبل وقد يحدث الظن أن التاريخ هو الماضي آو الأحداث التي طواها الزمن في غيابه ولم تعد تهمنا في قليل أو كثير وليس هذا بصحيح فالتاريخ يشمل الماضي والحاضر و المستقبل معا و لا يمكن الفصل بينهم بالضبط وحدة لا تتجزأ.

وفي ضوء نظريات التطور وعلم الاجتماع الحديث اتسع مفهوم التاريخ ليكتسب مدلولات حضارية وتطورية وأصبح يعبر عن أحوال المجتمعات الماضية و تطورها ونموها وازدهارها أو تدهورها وانحلالها وعلى ضوء هذا المفهوم درج المؤرخون على تقسيم التاريخ إلى نوعين هما :

**١-** التاريخ السياسي.

**٢-** التاريخ الحضاري .

١-التاريخ السياسي : يهتم في سرد الأحداث السياسية كالحروب وأخبار الملوك و الحكام وتعاقب السلالات الحاكمة وكل شأن من شؤون السياسة و الحكم.

٢-التاريخ الحضاري :ويهتم في تطور النظم والحركات الاجتماعية و الاقتصادية والفكرية والدينية مع العلم انه يوجد ترابط وتفاعل بين الأحداث السياسية و التطورات الحضارية العامة .

أما المعنى الاصطلاحي للتاريخ :فهو فرع من فروع المعارف البشرية قوامه التحري عن حياة المجتمعات في الماضي والتي يصل اليها الباحث التاريخي وفق منهج بحث خاص هو منهج البحث التاريخي، فهو ماضي الإنسان وبعض المؤرخين يرى انه بعض الأحداث التي وقعت في الماضي والحاضر وربما المستقبل وهو السفر الذي يحمل بين دفتيه التطورات الاقتصادية و الاجتماعية التي مرت بها البشرية .

ومن تعريفات الكتاب المسلمين للتاريخ لا يورد الطبري في كتابه (تاريخ الرسل والملوك )تعريفا" محددا" للتاريخ بل يشير إلى أن موضوع التاريخ هو الماضي ويبين انه تناول بتاريخه المعروف تاريخ الملوك الماضين وجملا من أخبارهم وأزمان الرسل و الأنبياء ومقادير أعمارهم وأيام الخلفاء و السالفين وبعض سيرهم ومبالغ ولاياتهم والكائن من الأحداث في إعصارهم .

أما ابن الأثير فهو الأخر في كتابه (الكامل في التاريخ ) لم يورد تعريفاً للتاريخ بل يتناول فوائده الدنيوية ويرى أن الإنسان أذا طالع كتب الماضين وحوادث المتقدمين وكأنه عاصرهم .

ويصف القرماني التاريخ بأنه علم فيقول (( أن علم التاريخ هو الأخبار عن الكائنات السابقة في العالم فهو السبيل إلى معرفة أخبار من مضى من الأمم )) ويمكن أن يعد تعريف القرماني

للتاريخ بأنه اقرب إلى التعريفات الحديثة للتاريخ . أما المؤرخ اليوناني الشهير هيرودوتس الذي عاش في القرن الخامس ق . م فالتاريخ في رأيه يشتمل على التحري والبحث و التحقيق في أحداث الماضي وتسجيلها ولا يتم هذا التحري في نظر هيرودوتس ألا أذا قام به المؤرخ نفسه وسافر إلى ألاماكن التي يريد دراستها من الناحية التاريخية ويقرب هذا المفهوم للتاريخ التعريف الذي قاله عبد الرحمن بن محمد بن خلدون في المقدمة الشهيرة (مقدمة ابن خلدون )فهو يبدأ حديثه عن التاريخ بالقول (( أما بعد فأن التاريخ فن من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشتد أليه الركائب والرحال وتسمو إلى معرفته السوقه و الإغفال وتتنافس فيه الملوك و الاقيال و تساوى في فهمه العلماء و الجهال أذ هو في ظاهرة لا يزيد على أخبار عن الأيام و الدول و السوابق من القرون الأول وفي باطنه نظر وتحقيق و تعليل للكائنات و مبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع و أسبابها عميق).ويعتبر ابن خلدون أول من أشار صراحة إلى فكرة التاريخ في مقدمته بقوله ((وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات و مباديها دقيق وعلم بكيفات الوقائع و أسبابها عميق فهو أصيل في الحكمة عريق و الحكمة في المفهوم العربي هي أعلى مراتب العلم

ويقول ابن خلدون عند كلامه عن التاريخ وكأنه (التاريخ)علم مستقل بنفسه فأنه ذو موضوع وهو العمران البشري و الاجتماع الإنساني وذو مسائل وهو بيان ما يلحقه من العوارض و الأحوال ثم يضيف ابن خلدون إلى ما سبق فيقول ((أن التاريخ يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم و الأنبياء في سيرهم و الملوك في دولتهم و سياستهم )) فأبن خلدون يجعل موضوع التاريخ دراسة الماضين و يبين انه معني بدراسة العمران البشري و الاجتماع الإنساني.

ويقول الكافيجي في كتابه ( المختصر في علم التاريخ )في تعريفه للتاريخ (( وأما علم التاريخ فهو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته )) أما محمد بن عبد الرحمن السخاوي في كتابه ( الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ) فيقول عن التاريخ ( وأما موضوعه فالإنسان و الزمان ومسائله أحوالهما المفصلة للجزيئات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان وفي الزمان )وإضافة إلى ذلك يقول أن معنى التاريخ هو ( التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة ووفاة وصحة عقل وبدن ورحلة وحج وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم و استقبالهم ويلحق به ما يتفق من الحوادث و الوقائع الجليلة وربما يتوسع فيه لبدئ الخلق و قصص الأنبياء وغير ذلك من أمور الأمم الماضية و أحوال القيامة و الحاصل انه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين و التوقيت عما كان في العالم ) .

ثم يتكلم السخاوي عن موضوع التاريخ فيجعله الإنسان والزمان ويبدو مما أورده السخاوي عن التاريخ وعن موضوعه أن الكاتب يمزج بين التاريخ و الحديث رغم ما بينهما من تفاوت حسب مقاييس العلماء المحدثين من المعنيين في هذين الموضوعين وان السخاوي شأنه شان الغالبية العظمى من المؤرخين المسلمين القدامى ينظر إلى التاريخ بأنه لا يقتصر على البحث في أعمال الإنسان على الأرض كما يريده المؤرخون المحدثون بل انه يشمل قصص الأنبياء وبدء الخليقة و ما إلى ذلك من قضايا ذات علاقة بالأديان السماوية .

أما تعريفات الكتاب المحدثين من مسلمين وغيرهم يعرف كارل بيكر التاريخ بأنه (معرفة الأشياء التي قيلت وتلك التي عملت ) ويرى المؤرخ رواس (أن التاريخ يبحث في المجتمع الإنساني وفي

حكايته وكيف أصبح الإنسان كما هو الآن ) .أما تشارلز فيرث يقول ( أن التاريخ شيء لا يسهل تعريفه ولكن يبدو لي انه سجل لحياة المجتمعات الإنسانية وللتغيرات التي اجتازتها تلك المجتمعات وللأفكار التي تحكمت في توجيه نشاط تلك المجتمعات و للظروف المادية التي ساعدت أو عاقت تطورها ) .وهناك من عرف التاريخ بأنه فرع عظيم من فروع المعرفة وكتابته فن قديم العهد وكل فرد يعرف ما هو التاريخ فكلمة تاريخ مألوفة لديه ويعرف تماما ما يعنيه و التاريخ يتعامل مع أفكار وأعمال الرجال و النساء الذين عاشوا في الأزمنة الماضية .

أما الدكتور عبد العزيز الدوري فيقول في صدد كلامه عن التاريخ و الحاضر (ومن تباينت الاتجاهات في تعريف التاريخ فهناك من يراه البحث عن الحقائق الثابتة وتدوينها وهي نظره تغلب في القرن التاسع عشر وهناك من يعتبره تفسير الحقائق وربطها فالمؤرخ يختار الحقائق أو بالأحرى يبحث عن حقائق معينة ويجمعها وهذه هي مادته الأولية ثم يكسبها مفهومها التاريخي وفي الحالين يكون المؤرخ محور الموضوع وهناك من يؤكد الصلة بين المؤرخ وحقائق التاريخ فالمؤرخ دون حقائق لا جذور له و الحقائق دون مؤرخ مجرد من الحياة و المعنى فالتاريخ هو عملية متصلة للتفاعل بين المؤرخ وحقائقه أو ( حوار متصل بين و الماضي و الحاضر ) .ويرى الدكتور قسطنطين زريق عند كلامه عن لفظة (التاريخ ) وما يكتنفها من لبس بان هذه اللفظة (تطلق تارة على الماضي البشري ذاته وتارة على المجهود المبذول لمعرفة ذلك الماضي ورواية أخباره أو العلم المعني بهذا الموضوع ) ويتبنى التعريف التالي للتاريخ وهو أن التاريخ هو (السعي لأدراك الماضي البشري وأحيائه وينسجم هذا المفهوم الواسع لنطاق التاريخ مع ما أشار أليه احد الباحثين من حيث اتساع معناه وبلوغه خلال القرن العشرين أقصى مداه فأصبح يشمل جميع شؤون البشر الماضية متداخلة او على انفراد بما فيها الشؤون الدينية و العلمية و العمرانية و السياسية و الحربية و الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية و العلاقات الدولية و كذلك اثر البيئة في حياة الإنسان فالتاريخ على هذا الأساس هو (( كل ما طرأ على البشرية بفعل البيئة وما نجم عن جهود الإنسان أما علم التاريخ فهو تدوين ذلك على الوجه الصحيح و محاولة أظهار معناه وقد أصبح الشائع حاليا التفريق بين كلمة التاريخ كتعبير دال على مسيرة الإنسانية الحضارية على سطح الأرض منذ القدم وعبارة تدوين التاريخ أو كتابة التاريخ كتعبير عن العملية الفكرية الإنشائية التي تحاول إعادة تسجيل وبناء وتفسير مسيرة الإنسان على كوكبه . فالتاريخ أشبه ما يكون بنهر هائل متدفق تحوي مياهه كل تفاصيل نشاط و أفكار و تطلعات وأحاسيس و نجاح و احباطات الإنسان منذ الخليقة أما تدوين التاريخ أي العملية الفكرية الإنشائية فليست سوى مشهد يلتقطه المؤرخ من الماضي القريب أو الماضي البعيد و يحاول من خلال مصادره المتاحة و منهج علم التاريخ و خياله العلمي كمؤرخ أن يعيد تركيبه. يتناول التاريخ كموضوع الإنسان من حيث هو إنسان وليس مجرد كائن حي ينمو و يتطور ويموت فهو الوحيد الذي يدرك معنى الزمن و الوحيد (ذو التاريخ ) الذي يصنع التاريخ و يصنعه التاريخ أما تناول الحوادث الطبيعية فليس ألا لمعرفة تأثيرها على الإنسان و الاهتمام بدراسة التاريخ له سببين نفسي وعقلي فالنفسي لاعتبار أن الإنسان يرى نفسه امتدادا لبني جنسه و بالتالي حرصه على التعرف على ماضي البشرية أما العقلي فيتميز به بعض الناس للاستفادة من التجارب الماضية .

أما تعريف التاريخ انجليزيا فان التاريخ History هي كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية "هيستوريا" Historia ومن اليونانية " لوغوس " Logos وهي عنوان كتاب هيرودوت التاريخي المترجم إلى اللاتينية تحت عنوان " هيستوريوس" بمعنى التعلم و الاستخبار ومن الكلمة الجرمانية " هيستور" Histor بمعنى التعلم و التعلم و التاريخ هو ذلك الفرع من المعرفة الذي يتعلق بالإحداث التي احتلت مكانا في وجود العالم وهو الدراسة و البحث في الماضي وهو علاقة شخصية بين الأفعال و الأحداث .

أما تعريفه فرنسيا فان التاريخ Histoire مشتق من الكلمة اللاتينية " هيستوريا" وهو العلاقة بين الأفعال و الأحداث الماضية المتعلقة بحياة الإنسانية مجتمعا" أو فردا" وهو دراسة وعلم الأحداث الماضية وهو قسم من الماضي معروف بواسطة وثائق مكتوبة عكس ما قبل التاريخ وهو أيضا مجموعة من الأحداث الواقعية او الخيالية .
أن هذه الكلمة ( التاريخ ) قد مرت بعدة أطوار فبدأت مسيرتها أولا بمعنى التقويم والتوقيت في صدر الإسلام الأول وبعد أن استعملت لفترة من الوقت بهذا المعنى كسبت معنى أخر هو تسجيل الأحداث على أساس الزمن وكان يستخدم بدلا منها في هذه العملية التاريخية كلمة الخبر و أخبار و أخباري ثم بدأت كلمة تاريخ تحل بالتدريج محله كلمة خبر وأخذت تطلق على عملية التدريب التاريخي وعلى حفظ الأخبار بشكل مسلسل وكان ذلك أواسط القرن الثاني للهجرة ومع بداية القرن الثالث الهجري صارت كلمة تاريخ تطلق على العلم بأحداث التاريخ وأخباره بأخبار الرجال وقد حلت هذه الكلمة محل كلمتي الخبر و الإخباري التي انتهت استعمالاتها العلمية وبطل استخدامها في القرن الرابع الهجري ٠

**وسائل التاريخ**

**١- الرواية الشفهية :**

قبل أن يبدأ أقدم تدوين لأحداث الماضي كانت الرواية الشفهية هي الوسيلة المعتمدة في تناقل الأخبار وحوادث الماضي ، و كان للتاريخ الشفهي أشكال مختلفة عند الشعوب ، منها الروايات وذكر أعمال البطولة و الأساطير . ومعظم الملاحم و القصص الكبرى التي اشتهرت في تاريخ الحضارات القديمة ترجع في أصولها قبل تدوينها إلى تداولها بالرواية الشفهية بين القصاص و الشعراء . نذكر منها على سبيل المثال من آداب الحضارات القديمة : ملحمة جلجامش ، وقصة الطوفان في حضارة وادي الرافدين ، والإلياذة والأوديسة في الحضارة اليونانية وملاحم المها بهاراتا و البورانا في الهند ، وقصص المآثر العربية في العصر الجاهلي عند العرب . ويمكن القول أن هذا النوع من الروايات الشفهية ما يزال مستخدما في وقتنا الحاضر عند معظم الشعوب ٠

**٢- الرواية المكتوبة :**

هي مادة التاريخ الأساسية منذ وجدت الكتابة ، بحدود منتصف الألف الرابع قبل الميلاد ، في وادي الرافدين و وادي النيل ،حيث اخترع العراقيون القدماء ما يعرف بالخط المسماري ، واخترع المصريون الخط الهيروغليفي .في حينها بدأ أول تدوين للتاريخ ،ولكن التدوين التاريخي في تلك الحقبة لم يكن بمستوى التدوين في العصر الحديث حيث

لا نتوقع أن يستخدم في تلك المدونات المفهوم العلمي الحديث المتميز بطرق النقد و التمحيص و التحقيق ، إلى غير ذلك من قواعد البحث العلمي ، إلا أنه يمكن القول : أن الأساليب التي أتبعت في حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل ،كانت تضاهي أساليب المؤرخين في الحضارات القديمة اللاحقة و التي اقتبست الكثير عن تلك الحضارتين .

**٣- الآثار** :

الآثار هي مصادر التاريخ الوحيدة في العصور القديمة قبل بدء التدوين . فالشعوب القديمة تركت أثارها في جميع أنحاء العالم وتتراوح الآثار بين الأبنية و بين القطع الأثرية الفنية ، كالتماثيل و الحلي و النقوش وأدوات العمل و المعيشة كالآنية و الأسلحة و المنسوجات و النقود و ورق البردي وغيرها من الأدوات ،وكلها مادة للتاريخ الإنساني . بالإضافة إلى ما تكشف عنه بعض الصور الأثرية من ملامح حياة الشعوب القديمة ، وعلى هذه الآثار تبنى معارفنا التي تزداد يوما بعد يوم مع ازدياد التنقيبات الأثرية في جميع بقاع المعمورة .

**٤- الكتابات الأثرية :**

وهي وثائق العصور القديمة ،فمعظم الحضارات القديمة سجلت على أثارها ما تريد قوله بكتابات شتى ، وبعد أن حل العلماء رموز الخط المسماري ،و الخط الهيروغليفي ،أضافوا إلى التاريخ أكثر من ثلاثة آلاف سنة .

**٥- الوثائق** :

تشمل الوثائق على السجلات و الصكوك و المراسلات بين الحكام وقادة الجيوش و الأمراء. أو بين دولة وأخرى . وتشتمل أيضا على المعاهدات المعقودة بين الدول ، وعلى القوانين و الشرائع المختلفة التي تنظم شؤون الحياة الاجتماعية . وكل ماتصدره الدولة من وثائق تتعلق بحياة الشعوب .

**بدء ظهور التاريخ**

بدأ التاريخ يظهر إلى حيز الوجود في صورة بدائية أولية حينما أخذ الإنسان البدائي يقص على أبنائه قصص أسلافه ممتزجة بأساطيره و معتقداته ، وبدأ الإحساس به يتكون في ذهن البشرية منذ أقدم العصور ، وتدرج التعبير عن التاريخ مختلطا أولا بعناصر من الفن كالرسم و النقش الحجري . وعندما سارت البشرية قدما في مضمار الحضارة في شتى أساليبها و صورها اخذ التاريخ يشكل أساسا جوهريا في تسجيل موكب البشرية الحافل الدؤوب ، إذ هو المرأة أو السجل أو الكتاب الشامل الذي يقدم لنا ألوانا من الأحداث وفنونا من الأفكار وصنوفا من الأعمال و الآثار.

ومهما كان من اثر القوى الإلهية أو الميتافيزيقية العليا التي يمكن ان تسيطر على مصائر البشرية و أحداث التاريخ وهي ما لا يقوى الإنسان بعد على أدراك كنهها وفهم أسرارها (

النظرية الدينية )فإن التاريخ يتخذ مجراه على يد الإنسان بطريق مباشر وفي ظروف معينة . و الإنسان ابن الماضي وهو ليس ابنا لأبويه فحسب بل هو ثمرة الخلق كله منذ أزمان سحيقة . و العلاقة وطيدة بين حياة الفرد وبين الحياة في القرون و العصور الماضية . ويذهب بعض المفكرين مثل بنديتوكروس إلى اعتبار التاريخ كله تاريخا معاصرا . ولا يستطيع الإنسان أن يفهم نفسه وحاضره دون أن يفهم الماضي . و معرفة الماضي تكسبه خبرة السنين الطويلة و التأمل في الماضي يبعد الإنسان عن ذاته فيرى مالا يراه في نفسه بسهولة من مزايا غيره و أخطائه و يجعله ذلك اقدر على فهم نفسه واقدر على حسن التصرف في الحاضر و المستقبل . ولكي ندرك أهمية الماضي وضرورة دراسة التاريخ فلنفرض أننا استطعنا بطريقة ما أن نقطع صلتنا نهائيا بالماضي وأننا أمكننا أن نحرق دور الكتب وندمر كل أثار العمران الراهنة وننسى أنفسنا ، فماذا ينتظر أن تكون عليه حال الإنسان و مصير الحضارة بعدئذ ؟

في الأغلب سيحاول الإنسان أن يعود لكي يبدأ من جديد أشياء تشبه أو تختلف عما كان قد بدأه منذ آلاف السنين حتى يصل إلى مستوى ما ، سواء أكان قريبا أم غير قريب من المستوى الذي قطعه عند صلته بماضيه السحيق . فماضي الشعوب وماضي الإنسان حافل بشتى الصور وهو عزيز عليه في كل أدواره سواء أكانت عهود المجد و القوة و الرفاهية أو عهود الكوارث والآلام والمحن ، و الأقوام الذين لا يعرفون لهم ماضيا " محددا" مدروسا" بقدر المستطاع لا يعدون من شعوب الأرض المتحضرة ٠

و لا غنى للإنسان عن دراسة ماضيه باعتباره كائنا" اجتماعيا"، فينبغي عليه أن يعرف تاريخ تطوره و تاريخ أعماله و آثاره فيدرس العوامل التي أدت إلى حدوث الغارات و الحروب، وما خلفته من الآثار ، فيتبع مثلا" حركة الكشف الجغرافي في أواخر القرن الخامس عشر وما ترتب على ذلك من تغيير طريق التجارة العالمية بين الشرق و الغرب وما أدى إليه من تدهور أمم وارتفاع أخرى مثلا اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح أدى إلى ازدهار تجارة اسبانيا و البرتغال وإلى تدهور تجارة المدن الإيطالية و ينبغي عليه مثلا" أن يدرس العوامل التي أدت إلى ظهور نظام دستوري معين و يفهم روحه و مضمونه . و يتبين أثره في هيئة الحاكمين وفي مجموع الشعب . . و ما إلى ذلك من أوجه النشاط الإنساني و مقومات الحضارة ٠